

المشمدان

بقلم المكاتب الروسي الكبير

تشيكوف

ترجمتها من الفرنسية: أ. د. حامد طاهر

وضع المشاب ساشا سيميرنوف ، المابن الموحيد لأمه ، تحت إيطه شيئاً ملفوفاً في العدد 23 من جريدة أخبار البورصة ، ثم مد رقبته ، ودخل إلى عيادة الدكتور كونشيلكوف ، الذي صاح عندما رآه :

- حسنًّا يا صغيري .. بم تشعر الآن ؟ أية أخبار طيبة تحملها ؟

أغمض ساشا عينيه ، ووضع يده على صدره ، وقال بصوت خفيض :

- أمي تبعث إليك بتحياتها . وقد كلفتني أنأشكرك - أنا المابن الموحيد لها - لقد أنقذت حياتي يا دكتور .. شفيتنى من مرض خطير .
ونحن الماشرنان لا نعرف كيف نعبر لك عن امتناننا ؟ !

قاطعه المطبيب :

- لا تتحدث عن هذا يا صغيري ..

استمر ساشا :

- إنني المابن الموحيد لأمي . ونحن فقراء . وبالتأكيد ، في حالة لا تسمح لنا بأن ندفع ثمن العلاج . وهذه يمزقنا يا دكتور .. ومع ذلك ، فإن
أمي وأنا - المابن الموحيد لها - نتوسل إليك أن تقبل - كرمز لعرفاننا بالجميل - هذه المهدية القيمة ، من البرونز القديم .. هذا العمل الفني
الرائع !

احتج المدكتور :

- إنك مخطئ تماماً .. على أي شيء كل هذا ؟!

- كلًا .. تو سمحت .. لا ترفض (وفتح ساشا اللفة) فإن رفضك يؤلمنا ، أمي وأنا .. فهذا شيء جميل من البرونز القديم .. لقد أحضره إلينا
أبي منذ زمن ، ونحن نحتفظ به كذكرى عزيزة . كان أبي يشتري البرونز القديم ، ثم يبيعه للهواة .. والآن نحن نواصل هذه التجارة
المبسطة: أمي وأنا ..

ثم رفع ساشا المهدية ووضعها على مكتب المطبيب . كانت عبارة عن شمعدان ، متوسط الحجم ، من البرونز القديم ، مصنوع بمهارة .

ومن المقاومة ينهض تمثالان لامرأتين عاريتين تماماً، وفي وضع لايمكن وصفه. أما الموجهان، فكانا يبتسمان في غنج واضح، وعلى نحو يظهر أنهما غير قادرين على حمل المشمعدان، وأنهما على وشك أن يقفزا من المقاومة لكي ينطلقوا إلى المحجرة في رقصة عربية لا يمكن تخيلها!

وما كاد الدكتور يرى المهدية، حتى حك أذنه من الخلف بهدوء ثم سعل، ومحظ بدون حماسة، وغمغم قائلاً:

-أجل.. هذا في الواقع شيء جميل. لكن.. ماذا أقول.. إنه إباحي أكثر من الملازم.. إنه ليس عاريًّا فقط.. بل أسوأ!!

-لأي سبب؟

الشيطان نفسه لا يمكن أن يتخيّل ما هو أكثر شناعة من ذلك.. إن وضع مثل هذا الفحش فوق المكتب يدنس شقتي كلها!

قال ساشا مدافعاً:

-أي تصوّر غريب لهذا الذي لديك عن الفن يا دكتور! إنه قطعة فنية. تأمله جيداً. هذا الجمال، وتلك الأنوثة تماماً المنفس بالتقدير. إنه يأخذ الملبو.. ونحن بتأملنا لهذا الكمال المفني، ننسى الأشياء الأرضية.. انظر أي حركة يصوّرها، وأي تعبير دقيق يكشف عنه؟

قاطعه الدكتور

-إنني أفهم كل هذا جيداً يا صديقي. لكن لي أسرة. وأطفال يلهون هنا، وتأتي لزيارتني سيدات محترمات..

-بدون شك. إذا أخذنا وجهة نظر الرجل العادي، فإن هذه التحفة الفنية ستظهر من زاوية أخرى تماماً.. لكن يا دكتور، ضع نفسك أعلى مستوى من الشخص العادي. ثم بالإضافة إلى ذلك، فإن رفضك المهدية سوف يؤلمنا كثيراً. أمي وأنا.. الابن الوحيد. لقد أنقذت حياتي! ونحن نقدم إليك أعلى ما عندنا.. وما يؤسفني أكثر إنما هو عدم وجود المشمعدان الآخر الذي يكون مع هذا المشمعدان: زوجاً رائعاً!

-شكراً يا عزيزي .. إنني شاكر لك من أعماقي . تحياتي إلى والدتك . ومع ذلك أرجو أن تقدر بنفسك أن أطفالي يلعبون هنا . وتأتي لزيارة سيدات محترمات . وأخيراً .. فسوف أحفظ به . من المستحيل أن أشرح لك السبب .. الأسباب التي ..

-لا شيء يستحق الشرح . ضع الشمعدان هنا ، قريراً من فازة المزهور . آه .. خسارة كبيرة ألم يكون هنا الشمعدان الآخر . كم أنا آسف ..
لذلك ! إلى اللقاء يا دكتور

بعد رحيل ساشا ، تأمل الدكتور الشمعدان طويلاً ، وحك من جديد أذنه من الخلف ، وفك:

"من المؤكد أنه تحفة فنية رائعة .. لكن من المؤسف أن أقذف به . ومستحيل أن أحفظ به لدبي . آه .. إنها مشكلة .. لمن أقدمه؟"

وبعد أن فكر طويلاً ، تذكر صديقه العزيز ، المحامي (كريبيونوف) ، الذي قدم له خدمات قانونية عديدة . وقرر الدكتور:

"هذا رائع . لأنك باعتباره صديقاً ، سيكون من الإحراج أن يقبل مني نقوداً على أتعابه ، وعندئذ يصبح من الملائم أن أقدم له هذه المهدية .
سوف أحمل له تلك التحفة الشيطانية ، خاصة وأنه أعزب ومتحرر .."

وبدون وهي ، ارتدى الدكتور ملابسه ، وأخذ الشمعدان ، وذهب إلى كريبيونوف . وعندما وجده صاح:

-مرحباً يا صديقي المأثير . ها أنا ذا .. جئتأشكرك على خدماتك الجليلة لي . أنت لا تقبل النقود مني . حسنًا .. أقبل إذن هذه التحفة .
هالك أيها العزيز ..

وما أن رأى المحامي الشمعدان ، حتى صاح بحماسة :

-أوه .. إنه مشهور!

ثم استغرق في الضحك قائلاً:

-هذا ما يحول قديساً إلى ملعون! رائع! بديع! أين عثرت على تلك المجوهرة؟^٦
ثم بعد أن عبر عن حماسته، ألقى المحامي نظرة خوف ذاحية الباب ثم اقترب من الدكتور قائلًا:

-فقط يا رفيقي، أرجوك أن تحمل هديتك، فإبني لا أريدها.

وهنا صاح الدكتور:

-لماذا؟

-لأنني أستقبل أمي هنا. وكذلك المزبائن.. ثم.. ثم إن هذا مزعج بسبب الخادمة.

-كلا.. كلا.. سوف يكون هذا العمل غير ودي تماماً من جانبك. انه غنه تحفة. انظر هذه الحركة.. وهذا التعبير.

— كفانا جدالاً.. فإنك تهينني.. لو كان له فقط بعض الملابس.. أو حتى ورقة عنبر تستره!

لكن الطبيب هز رأسه، وأسرع بالاختفاء من شقة كريبونوف، سعيداً بأنه قد تخلص من هديته، وعاد إلى منزله.

لكن المحامي عندما خلا لنفسه، وراح يفحص الشمعدان، ويتحسسها من جميع النواحي، على غرار ما فعل الطبيب، وفكرا ملياً:

"ماذا يفعل بتلك الهدية؟ إنها في الواقع تحفة رائعة. ومن المؤسف التخلص منها. لكن الاحتفاظ بها مع ذلك غير لائق. الأفضل إذن أن أقدمها لأحد.. المليلة أقدمها هدية إلى الممثل (شايكلن). فهو الشخص الذي يحب التحف التي من هذا النوع. وسوف يكون هذا عملًا في موضعه، حيث أنه سيقدم المليلة عرضًا مسرحيًا خاصًا به .."

استقر المحامي على تلك الفكرة. ثم قام بتغليف الشمعدان بعناية، وقدمه إلى الممثل شايكلن. وطوال المسهرة، ازدحمت غرفة الممثل

بالأصدقاء الذين راحوا يبدون إعجابهم بالهداية . ومن بين المزحام ، سمعت تعليقات حادة ، وضحكات مكتومة تشبه صهيل المخيل ..

وعندما اقتربت ممثلة من باب الغرفة ، وسألت: هل يمكن الدخول ؟ اندفع صوت الممثل المبحوح:

- كلا .. كلا يا عزيزتي .. أنا غير مرتد ملا بسي.

وبعد العرض ، هز الممثل كتفيه ، وفرد ذراعيه ، وقال :

- حسنًّا ! اننى أستقبل فنانين . ولن泥土ت هذه صورة فوتوغرافية حتى يمكن إخفاؤها في دولاب !

ونصحه عامل الماكياج قائلاً :

- إذن بعه يا سيدي .. هناك في القلعة امرأة عجوز تشتري البرونز القديم اذهب إلى هناك واسأله عن المسيدة سيمونوف .. الناس كلهم يعرفونها .

استمع الممثل إلى النصيحة.

وبعد يومين .. وبينما كان الدكتور كونشيلكوف يجلس واضعًا يده على جبهته . ومستغرقًا في التفكير حول حامض المرارة .. انفتح المباب فجأة ، ودخل ساشا سيمونوف .

كان يبتسم مزدھرًا . ووجهه كله يوحى بالسعادة . وفي يده ، كان يحمل شيئاً ملفوفاً في ورقة جريدة . وب بدأت أنفاسه تهدأ :

دكتور .. تصوّر مدى فرحتي .. وأية سعادة بالنسبة لك . لقد نجحنا في الحصول على الشمعدان الآخر لشمعدانك ! إن أمي سعيدة للغاية وكذلك أنا - المabin الوحيد لها - لقد أنقذت حياتي . فخذ إذن يا دكتور ، خذ ..

وبارتجاجف من يعترض حقيقة بالجميل، وضع ساشا المشمعدان أمام المطبيب، الذي فتح فمه، وأراد أن يتكلم..

لكنه لم يستطع أن يخرج صوتاً. كان قد فقد القدرة على النطق!